

المتطرفون أساءوا إلى الشيعة والسنة

ظهروا منذ ظهور الإسلام.. وسوف يستمر ظهورهم إلى يوم الدين.. لأن التطرف حالة عقلية، وربما يكون أيضا حالة نفسية،

المتطرفون

ولا يخلو عصر أومجتمع من المتطرفين في الدين، أو السياسة، أو حتى في الفن! والمتطرفون هم الذين أساءوا وسيئون إلى الإسلام. الشيعة منهم أساءوا إلى الشيعة، وأهل السنة منهم أساءوا إلى السنة، والمشكلة أنهم محسوبون على هؤلاء وهؤلاء.. والمصيبة الكبرى أن البعض- من المسلمين وغير المسلمين- يستمع إلى المتطرفين، أو يقرأ كتبهم ويحسب أن هؤلاء هم الشيعة.. أو أن هؤلاء هم أهل السنة.. والكارثة أن يحسب الجاهلون في الخارج والداخل أن هؤلاء وهؤلاء هم المعبرون عن الإسلام والناطقون الرسميون باسمه.

حتى بعض كبار الباحثين - مع الأسف - وقعوا في هذا الشرك. ورددوا أقوالا جاءت من بعض الفرق الشيعية المتطرفة وتناقضها مؤلفو كتب وضعت في الأصل لأغراض سياسية في عصور مختلفة، وبعض هذه الأقوال صدرت عن قلة متطرفة وبعضها ملفوق. والخطأ الأكبر أن البعض ينظر إلى الشيعة على أنهم مذهب واحد وفرقة واحدة وهذا غير صحيح، حتى إننا نجد من يردد ما قيل من أن الشيعة جميعا يشككون في القرآن ويقولون: إنه أضيف إليه وحذف منه، وحتى أسقاذ كبير مثل الدكتور عبد المنعم النمر ذكر في كتابه عن الشيعة أن لهم قرآنا خاصا بهم يسمونه (قرآن فاطمة) وذكر ذلك على أنه قرآن الشيعة جميعا، وكأنهم بذلك يكذبون قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (سورة الحجر آية ٩).. وإلى هذا الحد وقع الخلط وحدثت الإساءة إلى الشيعة وإن كان البعض من المتطرفين يقول بذلك فلماذا ننسبه إلى الجميع؟

إمامنا الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر الراحل يقول: إن للجمع الإسلامي تكثر فيه الآراء والمذاهب.. والله يأمرهم بقوله:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران آية ١٠٣) ويقول: إن

المسلمين جميعاً مأمورون بحب آل البيت وتكرعهم في قوله تعالى:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (الشورى آية ٢٣).

وقوله تعالى في سورة الأحزاب آية ٣٣: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ

أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (٣٣)

وقد اشتد حب سيدنا على وذريته عند بعض المسلمين فغالوا في تكرعهم له لدرجة أن بعضهم (وليس كلهم) اعتقد ألوهية سيدنا على، وبعضهم (وليس كلهم) اعتقد أنه النبي المرسل، وبعضهم (وليس كلهم) قال إنها شريكان في النبوة، وقالوا: إنه الإمام بعد الرسول دون أبي بكر وعمر وعثمان، وإن الإمامة لا تخرج عنه ولا عن أولاده، وإن خرجت فإن ذلك يكون ظلماً أو تقيّة.

يقول الإمام الراحل الشيخ جاد الحق: إن أشهر الفرق الشيعية خمس، هي: الزيدية في اليمن ومذهبهم قريب من مذهب أهل السنة وإن اعتقدوا أفضلية على غلى أبي بكر وعمر ولكنهم أجازوا إمامة من هو أقل فضلاً. والفرقة الثانية هي الإمامية وهم الذين قالوا بأن الأئمة اثنا عشر من آل البيت، ولذلك يسمون الاثنى عشرية، لأن الأئمة عندهم هم: على، والحسن، والحسين، وعلى زين العابدين بن الحسين، ومحمد الباقر، ثم جعفر الصادق، وكان له ستة أولاد أكبرهم إسماعيل ثم موسى، ومات إسماعيل في حياة أبيه فأوصى بالإمامة إلى ابنه موسى الكاظم. وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق انقسم الاتباع، فمنهم من استمر على إمامة إسماعيل وهم: الإسماعيلية، والباقون اعترفوا بإمامة موسى الكاظم وهم: الموسوية، ومن بعده على الرضا، ثم ابنه محمد الجواد، ثم ابنه على الهادي، ثم ابنه الحسن العسكري

(نسبة إلى مدينة العسكر (سامرا)). والحسن العسكرى هو الإمام الحادى عشر، وبعده ابنه محمد وهو الإمام الثانى عشر، وقد مات وليس له ولد، فوقف تسلسل الأئمة، وكانت وفاته سنة ٢٦٥ هجرية. ويعتقد الشيعة الإمامية بأن الإمام الثانى عشر لم يمت، ولكنه دخل سردابا فى (سامرا) وسوف يرجع فى زمن قادم، فهو المهدى المنتظر. وهذه الطائفة من الشيعة منتشرة فى إيران، والعراق، وسوريا، ولبنان، ومنهم جماعات متفرقة فى أنحاء العالم. وللشيعة كتب ومؤلفات كثيرة، من أهمها كتاب (الوافى) فى ثلاثة مجلدات كبيرة جمعت كثيرا من الأفكار التى وردت فى كتبهم الأخرى. وقد هاجم بعض أهل السنة عقائد الشيعة، وأشهر كتب النقد كتاب (الوشيعية فى نقد عقائد الشيعة). ولرئيس أهل السنة بباكستان محمد عبد الستار التونسى كتاب مشهور عنوانه (بطلان عقائد الشيعة).

ومن أهم أصولهم كما يقول إمامنا الشيخ جاد الحق خمسة مبادئ:

- ١- تكفير الصحابة ولعنهم وبخاصة أبو بكر وعمر (وليس كل الشيعة يرون ذلك).
- ٢- ادعاء أن القرآن الموجود فى المصاحف ناقص، والباقى مخزون عند آل البيت فيما جمعه الإمام على (وليس كل الشيعة يقولون ذلك).
- ٣- رفض كل رواية تأتي عن غير أئمتهم فهم عندهم معصومون دون سواهم.
- ٤- التقية - وهى إظهار خلاف ما يعتقد الشخص لدفع سوء عنه.
- ٥- عدم مشروعية الجهاد الآن، لأن الإمام غائب، والجهاد مع غيره حرام ولا يطاع. ولا يُحسب شهيداً فى حرب إلا من كان من الشيعة، (وليس كل الشيعة يقولون ذلك).. ويبيحون تصوير سيدنا محمد، والإمام على كرم الله وجهه، والإمام الحسين وتباع الصور أمام المشاهد والأضرحة.



تعرضت مذاهب الشيعة لكثير من التشويه، والسبب أن البعض تناولها على أنها مجموعة أفكار وآراء غريبة مختلطة بكثير من الخرافات، وخلط بين هذه المذاهب

وممارسات الجهالة والبسطاء من الشيعة، مع أن لهم أشباها ونظائر بين أهل السنة، تختلط أفكارهم وممارساتهم وعاداتهم الدينية بالكثير من الخرافات والفولكلور. وأهل السنة في حيرة من أمرهم من موقف الشيعة من الإمام عليّ كرم الله وجهه، لأنهم ما زالوا حتى اليوم يعتقدون أنه الأحق بالخلافة، ويعتبرون ذلك أصلا من أصول العقيدة، حتى بعد مرور أربعة عشر قرنا على رحيل الإمام عليّ والحسن والحسين، وبعد انتهاء الخلافة من مجتمعات المسلمين. كما اختلف الدارسون من أهل السنة في رؤيتهم للشيعة: هل هم فرقة دينية أو هم حزب سياسي؟ فإن اعتبارهم فرقة من فرق الدين الإسلامي يدفعنا إلى البحث في أفكارهم الدينية الأساسية ومدى اتفاقها أو اختلافها مع ما جاء في الكتاب والسنة. واعتبارهم حزبا سياسيا يجعلنا نبدأ بدراساتهم من لحظة الخلاف على الحكم، هل كان الأحق بالسلطة السياسية بعد الرسول ﷺ أبو بكر وعمر، أو كان الأحق هو الإمام عليّ؟ وهل الاختلاف حول أحقية أي منهما يمكن أن يكون أصلا من أصول الدين الإسلامي يستمر إلى يوم القيامة، أو أنه أمر يتعلق بالسلطة الزمنية ينتهي بانتهاء وجود الحكام المختلفين، وتبقى ذكراهم للتاريخ يستمد منها المسلمون الدروس للعة والعبرة؟.

فكرة (الإمام) كما يؤمن بها الشيعة تبدو غريبة عند أهل السنة، فالإمام عندهم له منزلة الأنبياء، وهو خليفة الرسول ﷺ، وهو زمام الدين. والإمامة هي نظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين، ولا يكون تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والصدقات والحدود والأحكام ولا تصح هذه العبادات إلا به.. الإمام يحل الحلال، ويحرم الحرام، ويقم حدود الله. والإمام هو واحد زمانه لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد له بديل، وليس له مثيل أو نظير، هو المختص بالفضل كله من الله الوهاب، وهو اختيار الله وليس اختيار البشر، ويستندون في ذلك على الآية ٦٨ من سورة القصص:



﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ فكيف يكون للبشر اختيار الإمام وقد اختاره الله، وشرح صدره، وأودع في قلبه ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلا يحيد عن الصواب، وهو معصوم من الخطأ والزلل والعار، يخصه الله بذلك لأنه هو حجة الله على عباده، وشاهد على خلقه، والله أمر بطاعة الأئمة، ونهى عن معصيتهم، وهم بمنزلة رسول الله ﷺ، إلا أنهم ليسوا أنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للأنبياء، وما عدا ذلك فهم في منزلة رسول الله ﷺ.

هذا التعريف للإمامة تجده في (الكافي) منسوباً إلى الإمام الرضا، ونقله الدكتور أحمد صبحي في كتابه (نظرية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية)، وهو تعريف يثير الحيرة عند أهل السنة. وأنصح بالرجوع إلى كتاب الدكتور صبحي وقد أعده تحت إشراف أستاذنا الدكتور علي سامي النشار الذي يعتبر الحجة في دراسة الشيعة ومذاهبيهم.

والباحثون الشيعة يرون أن الرسول ﷺ هو الذي وضع أساس التشيع، ويرون أحاديث للتدليل على ذلك، مثل الحديث الذي يقول: إن الرسول ﷺ أشار إلى علي وقال: "والذي نفسى بيده إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة". ومثل الحديث الذي ينسبونه إلى ابن عباس يقول فيه: لما نزلت الآية ٩ في سورة يونس: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال رسول الله ﷺ لعلي: "هو أنت وشيعتك.. يوم القيامة تبعثون راضين مرضيين" .. ويقولون: إن الرسول ﷺ عندما نزل عليه قول الله آية ٢١٤ في سورة الشعراء: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ جمع بني هاشم قائلاً: "أيكم يؤازرنى ليكون أخى ووصيتى وخليفتى فيكم بعدى؟ فلما لم يجبه سوى الإمام علي قال لهم الرسول ﷺ: هذا أخى، ووارثى، ووزيرى، ووصيتى، وخليفتى فيكم بعدى، فاسمعوا له وأطيعوا" .. ويستخلصون من ذلك أن التشيع بدأ من الرسول ﷺ.

وقضية من الأحق بأن يخلف الرسول ﷺ بعد رحيله ينطبق عليها وصف طه حسين بأنها (الفتنة الكبرى) لأن الأنصار رأوا أنهم الأحق بالخلافة على أساس أنهم أول من آوى الرسول وهم الذين نصرروه، وقال ﷺ عنهم: "لو اتخذت العرب شعبا، واتخذ الأنصار شعبا، لاتخذت شعب الأنصار" وقال الأنصار: إن الرسول ﷺ عاش بيننا، ومات بيننا، ودفن في أرضنا، وترك الدنيا وعاصمة الأنصار هي عاصمة الإسلام.. وهذا ما قاله زعيم الأنصار سعد بن عبادة.

والمهاجرون من أبناء قريش رأوا أنهم الأحق بالخلافة، فهم أول من عبد الله في الأرض، وفي أرضهم أول بيت وضع للناس، وهم السابقون إلى الإسلام.. وهذا ما قاله أبو بكر الصديق.

أما بنو هاشم فرأوا أن خلافة الرسول ﷺ لا بد أن تبقى لهم وهم أهله وأقرب الناس إليه، والأولى بها على الفقيه، العالم بسنن رسول الله ﷺ.

وهكذا بدأ الخلاف حول الحكم لكنه ظهر في صورة عقائدية. وطه حسين يقول: إن نظام الحكم أيام النبي ﷺ لم يكن مفروضا من السماء، لأن الإسلام دين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم يترك للناس شئون دنياهم. أما الشيعة فهم لا يفرقون بين السياسة والدين، وهم يرون أن وجود الإمام وطاعته واجبة في كل زمان لكيلا يحرم الناس من التشريع الرباني، وعناية الله تقتضى ألا يترك العالم خاليا من رئيس يدبر وإمام يجمع الناس ويعرفهم مصالحهم الدينية والدنيوية ويردون حديثا عن الرسول ﷺ قوله عن الله سبحانه وتعالى: "لم أترك الأرض إلا وفيها عالم يعرف طاعتي وهداي، ولم أكن أترك إبليس يضل الناس وليس في الأرض حجة يدعو إلى ويهدى إلى سبيلي".

وقضية الإمامة ركن أساسي في عقيدة الشيعة ولذلك يجب تفهيم طبيعة ومكانة أئمة الشيعة وما يتمتعون به من قداسة عند أتباعهم، لكي نفهم أن هؤلاء الأئمة لهم القيادة الدينية والسياسية، ولهم العصمة في شئون العقيدة وشئون الحكم.



والتطرف أو (الغلو) قديم، وكانت البداية بسبب شدة الحب للرسول وآل بيته، والحب يولد الأسطورة التي تحيط للحبوب بهالة من القداسة. وهذا ما نراه عند غلاة الشيعة. وقد تنبه الشهرستاني إلى هذا فقال: (الغالية هم الذين غلوا -أى بالغوا- فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلق وحكموا فيهم بأحكام الألوهية) وقد نشأت تشبيهااتهم من مذاهب غير إسلامية شبهت الخلق بالخالق، وأفكارهم مثل: التناسخ، وعودة الإمام، وتشبيه الإنسان بالإله، والقول ببدء الخلق بإمام معين، فهذه أفكار كانت تتكرر فى عقائد ومذاهب وديانات غير إسلامية.

وأستاذنا الدكتور على سامى النشار يفرق بين نوعين من الغلو عند الشيعة.. الغلو فى الحب، والغلو فى العقيدة، وفى أحيان كان الغلو فى الحب هو الذى أدى إلى الغلو فى العقيدة. فالغلو فى حب آل البيت لا يضير للجمع الإسلامى أو العقيدة الإسلامية فى شىء، ولكن أن ينسب البعض النبوة أو الألوهية لواحد من آل البيت، أو أن ينسب إليه العلم بما كان، وما هو كائن، وما سيكون، فإن ذلك هو المزلق الخطر.. ونحن نرى أن علماء أهل السنة والجماعة لم يستنكروا بعض فرق الشيعة، بل إننا نرى الإمام أبا حنيفة عالم الإسلام الكبير يؤيد الإمام زيد بن على فى خروجه على بنى أمية، وعمده بالمال والعون، ولم يكن أبو حنيفة شيعيا.. كذلك نرى الإمام الشافعى - وهو أبعد الناس عن التشيع - يردد:

لو كان رافضا حب آل محمد .. فليعلم الثقلان إنى رافض

شدة الحب لا يضير فيها، ولكن حين يؤدى الغلو فى الحب إلى المساس بالعقيدة فهنا يكون للخطر.. وهذا ما وقع فيه غلاة الشيعة.

وفى كتاب (فاطمة الزهراء) الذى وضعه المرحوم توفيق أبو علم، وأصدرته دار المعارف، رسالة من العالم الشيعى الراحل محمد صادق الصدر يتحدث فيها عن موقف الشيعة من حب آل البيت فيقول: إنهم ذوو القربى للرسول ﷺ - الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من الدنس، وجعلهم أئمة حكماء يُهتدى

بهم، ويُستضاء بأنوارهم إذا ادلهم الأمر وطغى الضلال بين الناس، وليس من الغريب أن يكونوا بهذه المنزلة الرفيعة التي رفعهم الله إليها، وهم جزء لا يتجزأ من رسول الله ﷺ، علمهم من علمه، وأدبهم من أدبه، وأطلعهم على وحى الله وشريعته وأسراره، وكفيونا للدلالة على عظمتهم، عليهم السلام، أن حياتهم الشريفة، التي ابتدأت بأمر المؤمنين على، وختمت بالمهدى، كانت جميعها امتدادا واستمرارا لحياة جدهم الأعظم، وحياتهم المثلى كانت كلها وقفا على الشريعة والأمة والمصلحة العامة، فما أبقوا آية في كتاب الله إلا أوضحوها، ولا حكما من أحكام الله إلا بينوه على وجهه الأكمل. وكان النبي الكريم ﷺ يُعرف أمته بمنزلة أخيه (على) فيقول: «أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها» ويقول: «أعلم أمتي من بعدى على بن أبي طالب» ويقول: «يا على أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدى» ويقول: «قُسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطى على تسعة أجزاء والناس جزءا واحدا، وعلى أعلم بالجزء الواحد منهم».

ويقول محمد صادق الصدر أيضا: إن (علينا) عليه السلام، مع قصر مدة خلافته، ومع المشكلات التي واجهته في عهده، ترك من بعده كتاب (نهج البلاغة) الذي هو أعظم دستور للأمة الإسلامية، يرشدها للطريق المستقيم في خطبه البليغة، وآرائه الصائبة، وكلماته القصار الحكيمة. وقد أبقى من أحكامه في القضاء ما كان مصدرا يرجع إليه للجهتدون عند إصدار أحكامهم منذ صدر الإسلام إلى عصرنا الحاضر.

والإمام الحفيد (على زين العابدين) وهو في أشد محنته، في أيام بنى أمية الظالمة لأبيه وجده، لا يرضن على الأمة بالنصح، فيرشدها إلى الخير، وإلى كل عمل صالح، في (صحيفته السجادية) الشهيرة، يوجه في (زبور آل محمد) إرشاداته للناس عن طريق المناجاة والدعاء إلى الله، وفي أدعيته البليغة من المعاني ما يحير العقول والألباب.

ويقول محمد إمام الصدر: جدير بالمسلم المؤمن ألا يخلو داره - بعد القرآن الكريم - من نهج البلاغة، ومن الصحيفة السجادية. وهما - بعد القرآن - توأم، وهما دون كلام الخالق والنبى ، وفوق كلام المخلوقين.

ويقول عن الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر عليهما السلام: لما ساعدته ظروفه، فتح بابه للناس، فكانت داره فى عصره الزاهر أعظم مدرسة للأمة، خرّجت الأعلام فى الفقه والتفسير والحديث وسائر العلوم الإسلامية، وقد كثر الرواة عنه من مختلف المذاهب الإسلامية، فكان أربعة آلاف رجل يقولون: حدثنى جعفر بن محمد. وقد جمع فى رواياته التى اتخذت عنه بدون واسطة أربعمئة كتاب تعرف عند الإمامية (بأصول الأربعمئة).

ويقول محمد إمام الصدر : ولكن الفتن الهوجاء فى تلك العصور لعبت دورها فى تلك الأخبار، ولولا لطف البارى عز اسمه بالأمة الإسلامية، لا غمحت تلك الآثار النبوية، ولكن الله تعالى هبأ أعلاما من حملة علوم أهل البيت نذروا أنفسهم لخدمة أمتهم، فوقفوا أقلامهم وأفكارهم وأوقاتهم لجمع أحاديث (العروة الطاهرة) بكتب كانت - ولا تزال - المصدر الفيض لكل مجتهد يرجع إليها عند استنباط الأحكام الشرعية. وهذه الكتب هى الكتب الأربعة: (الكافى) و(من لا يحضره الفقيه) و(التهذيب) و(الاستبصار) وهى خلاصة ما أمكن تحصيله من (أصول الأربعمئة) وهى للمحمدين الثلاثة الأوائل: محمد بن يعقوب الكلينى صاحب الكافى، المتوفى فى شهر شعبان سنة ٢٢٩ هـ، وهى السنة التى توفى فيها أبو الحسن على بن محمد السمرى آخر السفراء الأربعة، وقد اشتمل (الكافى) على ١٦١٩٩ حديثا.

ومحمد بن على بن الحسين بن موسى القمى المتوفى سنة ٢٨١ هجرية، أدرك نيفا وعشرين سنة من غيبة الإمام المهدي الصغرى، وهو صاحب (من لا يحضره الفقيه) وقد اشتمل على ٢٩١٢ حديثا مسندا، و ١٠٥٠ حديثا مرسلًا. ومحمد بن الحسن بن على الطوسى شيخ الطائفة فى عصره هو صاحب كتابى (التهذيب)

و(الاستبصار) المتوفى سنة ٣٦٠ وقد اشتمل كتابه على ٥٠١١ حديثاً.. وقام بعدهم محمد بن الحسن الحر العاملي صاحب (وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة) ومحمد الباقر اللجلى صاحب (بحار الأنوار) ومحمد بن مرتضى المشهور بحسن الفيضى صاحب (الواقى).

وهكذا نرى فيما ذكره العلامة الشيعى محمد صادق الصدر أمرين من أصول الشيعة: **أولهما:** درجة القداسة التى يخلعونها على الإمام على ونسله، **وثانيهما:** أنهم يعتمدون فقط على الأحاديث النبوية عن الإمام على والسيدة فاطمة الزهراء ونسلهما، ويرفضون رواية الحديث الأخرين.

ويقول محمد صادق الصدر عن الاختلاف بين الشيعة: إن اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية، وشأنها فى ذلك شأن المذاهب الأربعة، فإن بعض المذاهب قد يرى فى المسألة الفقهية رأياً، ويرى المذهب الآخر رأياً يخالف رأيه، وهذا طريق للجهتدين الذين يصلون إلى الحكم بحسب المستند الذى يكون مدركا لهم حين الاستنباط.. والواقع أن الحالة اليوم اختلفت كل الاختلاف عن السابق، فقد حدث كثير من التقارب والتفاهم، وصدرت عشرات المؤلفات التى تحمل هذه الروح الإسلامية الطيبة.

□□□

وحب آل بيت النبوة عند أهل السنة لا يقل عنه عند الشيعة، فالإمام الشافعى يقول:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ونور من الله فى القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

والكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوى له كتاب عظيم من جزأين عن الإمام على وصفه فيه بأنه الشهيد الأسطورة، المثالى، الذى استقر فى ضمير الزمن، وهو أمير المؤمنين الذى اجتمع له من عناصر القدوة وشرفها ومن مقومات القيادة ونبايتها

وشرفها ما لم يجتمع قط لحاكم. وهكذا كان فريداً، عالماً، وحاكماً، فسلام عليه يوم ولد، ويوم يموت، ويوم يبعث حياً.

وطه حسين له كتاب شهير: (على وبنوه) في سلسلة الفتنة الكبرى تناول فيه بالمنهج العلمى تحليل اسباب تحوُّل شخصية الإمام علىّ إلى أسطورة والظروف القاسية التى جاء فيها الإمام علىّ بعد مقتل عثمان، وتطورات الأحداث التى انتهت إلى مقتل الإمام الشهيد.

أما العقاد فإن كتابه (عبقريّة الإمام علىّ) أعظم ما كتب أهل السنة عن الإمام، وقد رأى فى سيرة علىّ والحسين ملتقى بالعاطفة المشبوية والإحساس المتطلع إلى الرحمة والإكبار، والحسين هو الشهيد أبو الشهداء، يجرى تاريخه وتاريخ أبنائه فى سلسلة طويلة من مصارع الجهاد والهزيمة، ويتراءى للمتتبع من بعيد واحداً بعد واحد شيوخاً جليلهم وقار الشيب، ثم جليلهم السيف الذى لا يرحم، أو فتياناً عوجلوا وهم فى نضرة العمر يحال بينهم وبين متاع الحياة، بل يحال بينهم وبين الزاد والماء، وهم على حياض المنية جياع ظمأ، وأوشك لمصرعهم أن يُصبغ ظواهر الكون بصبغتهم وصبغة دمائهم، حتى قال شاعر فيلسوف كأبى العلاء: لا يظن به التشيع بل ظنت بإسلامه الظنون:

وعلى الأفق من دماء الشهيد بن على ونجله شاهدان

فما فى أواخر الليل فجراً ن ، وفى أولياته شفقان

ويقول العقاد : إن فى سيرة ابن أبى طالب ملتقى بالخيال، حيث تحلق الشعاعية الإنسانية فى الأجواء، فهو الشجاع الذى نزعته به الشعاعية الإنسانية منزع الحقيقة ومنزع التخيل، واشترك فى تعظيمه شهود العيان وعشاق الأعاجيب.. وهو من أصحاب المذاهب الحكيمة بين حكماء العصور، ولذوق الأدبى، أو الذوق الفنى- ملتقى بسيرته كملتقى الفكر والخيال والعاطفة، لأنه رضوان الله عليه كان أديباً بليغاً له نهج فى الأدب والبلاغة يقتدى به المقتدون.



هكذا نجد أن أهل السنّة يجمعون على حب النبي وآل بيته. والإمام على له من الحب نصيب كبير، لأن شخصيته وسيرته وعظمة مواقفه وشجاعته جعلت هالات النور تحيط به في عيون المسلمين. وإن كان هناك من يكرهونه بقوة ومن يحبونه بقوة حتى بلغ حب بعضهم له أن رفعوه إلى مرتبة الآلهة المعبودين، وبلغ من كراهية بعضهم أن حكموا عليه بالمروق من الدين.. الروافض الغلاة يعبدونه وينهاهم عن عبادته فلا يطيعونه، ويستتبيهم فيصرون على الكفر، وبأمر بإحراقهم فيقولون وهم يساقون إلى الحفيرة الموقدة: إنه الله وإنه هو الذي يعذب بالنار!

وهناك الخوارج الغلاة يعلنون كفره ويطلبون منه التوبة إلى الله عن عصيانه، ويسبونه على المنابر كما سببه خصومه الأمويون الذين خالفوهم في العقيدة ووافقوهم على السباب.. وعلى الجانب الآخر أصبح اسم علىّ علما يلتف به كل مغضوب، وينادي به كل طالب إنصاف، وقامت باسمه الدول بعد موته لأنه لم تقم له دولة في حياته.. وفي ذلك كله كان الإمام علىّ أبلغ من وصف حاله في حياته وبعد رحيله حين قال: (ليحبنى أقوام حتى يدخلوا النار في حبي، ويبغضنى أقوام حتى يدخلوا النار في بغضى) وحين قال: (يهلك فيّ رجالان: محب مقرط بما ليس فيّ، ومبغض يحمله شتآنى على أن يبهتنى).

□□□

وفي مرحلة من المراحل كان الخلاف بين أهل السنّة والشيعة قد وصل إلى درجة القطيعة، بل وإلى درجة العداة، وكان ذلك بسبب السياسة ومصالح أهل الحكم، وبسبب جهل كل فريق بحقيقة الفريق الآخر والجهل بجوهر الإسلام القائم على وحدة المسلمين وتحريم الفرقة بين صفوفهم مهما اختلفت اجتهاداتهم ومذاهبهم في الفروع، وبسبب التطرف والغلو في الجانبين.

ونحن في مصر لا نعرف هذا العداة بين المذاهب الإسلامية - كما قال عبدالرحمن الشرقاوى - نحن لا نعرف غير كتاب الله وسنة رسوله وما أجمع عليه أئمة الدين،

وما استنبطوه من أحكام. وإن الصلاة الواحدة لتقام عدة مرات في بعض البلاد الإسلامية لأن أتباع كل مذهب لا يصلون إلا خلف إمام من أهل المذهب! وأن أتباع بعض المذاهب السنية لا يتزاوجون في بعض البلاد الإسلامية.. أما في مصر، فنحن أهل سنة، ومريدون، ومحبون لآل البيت في الوقت نفسه، ولا نجد في هذا تناقضاً. ونحن نصلى وراء الإمام الصالح، مالِكيا كان أو حنفياً أو شافعياً أو حنبلياً أو ظاهرياً.. نحن ننتهي إلى الإسلام ونحترم كل أئمة على السواء.. لانفرد بين أحد منهم.. ولانعرف هذا الخلاف بين المذاهب.

والقانون المصري أخذ في الأحوال الشخصية من فقه الشيعة الزيدية، كما أخذ من فقه الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ومن فقه كل الأئمة: مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وابن حنبل، وابن حزم الظاهري، وابن تيمية (الحنبلي).



وإن كانت نشأة الشيعة في بدايتها لأسباب سياسية تتعلق بالحكم ومن الأحق به، لكن الخلافات السياسية في المجتمع الإسلامي قديماً وحديثاً سرعان ما تكتسب صبغة دينية، وسرعان ما ينشأ فرع من فروع الفقه يساندها ويؤيدها ويدعمها بالحجج والأسانيد الشرعية، ونحن نلاحظ اختلاط الفقه بالسياسة في مذاهب الشيعة والسنة أيضاً، كما نلاحظ أن المؤيدين والمعارضين للحكام أو لأنظمة الحكم لا يكتفون بالمعارضة السياسية ولكن يستندون إلى القرآن والسنة والتفسير والفقه وأقوال السلف الصالح.

وهذا ما يفسر تمسك الشيعة حتى اليوم بموضوع أحقية الإمام على ونسله بالحكم، على رغم مرور مئات السنين، وانتهاء الوجود التاريخي لكل من على ومعاوية ونسلهما، وعلى رغم اختلاف نظم الحكم في العصر الحديث، فلم يعد الحكم سلطة دينية، وإن كان ملتزماً بعدم الخروج على الشريعة، فالانتخابات مثلاً، والأحزاب السياسية، والصحافة والقيادات السياسية التي تصعد إلى مقدمة النظام

دون سند من الميراث، وللجالس النيابية، والسماح بوجود معارضة.. إلخ كل ذلك لم يكن قائماً في صدر الإسلام، ولكن التطور السياسي والاجتماعي أفرز هذه النظم، وأعطى لعامة الناس الحق في المشاركة في الحكم في إطار الديمقراطية.. وهذه النظم أصبحت نظماً عالمية تطبق في الدول المتقدمة، وتفرضها طبيعة الحضارة الحديثة، حتى إن دولة مثل إيران التي تطبق الفكر السياسي والديني الشيعي لم تستطع أن تتجاهل النظم والمبادئ والأفكار السياسية الحديثة، فهي تأخذ بالانتخابات، وفيها صحافة، ومجلس تشريعي و.. و..

لذلك فإن محبة سيدنا عليّ ونسله لا يجوز أن تكون سبباً في الخلاف بين المسلمين، بعد أن زالت أسباب هذا الخلاف، ولم يعد أغلبية المسلمين يفكرون في أحقية أحد في حكمهم بالأمر الإلهي، فالحكم اليوم يتقرر بالانتخابات وبإرادة الشعوب.. ومبدأ تداول السلطة يتعارض مع مبدأ الحق الإلهي في الحكم الذي ينتمي إلى العصور الوسطى، حين كانت الكنيسة تؤيده وتسبغ على الملك قدسية إلهية وتصوره على أنه ظل الله في الأرض، وأنه لا ينطق عن الهوى.. اليوم ليس هناك قبول لفكرة وجود إنسان هو ظل الله على الأرض.. ولا لفكرة توريث السلطة إلى الأبد بالأمر الإلهي، وهذا لا يتعارض أبداً مع ما للإمام عليّ ونسله من مكانة ومحبة لا يختلف عليها أحد من المسلمين اليوم وإلى يوم الدين.

ثم إن الإمام علياً هو الذي حسم الخلاف بنفسه، حين أعلن أمام الجميع قبوله مبايعة الخليفة الأول أبي بكر الصديق، ثم من بعده بايع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وبايع الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنهم جميعاً، وكان بذلك حريصاً على جمع كلمة المسلمين، والحفاظ على وحدتهم، إلى أن صار الأمر إليه، وقبل أن يكون أمير المؤمنين تحت ضغط وإصرار المطالبين بسرعة القصاص من قتلة عثمان، وإن كان الذين طالبوه بقبول الإمارة هم الذين تخلوا عنه أو انشقوا عليه، أو عارضوه، فهذا أمر انتهى زمنه، والحكم على الجميع لله وحده، ويمكن



دراسة هذه الأحداث على أنها أحداث تاريخية. يمكن أن نستخلص منها الدروس والعبر، ولكن لن نستطيع استعادة الماضي مهما كان مبلغ الألم الذي نشعر به كلما تذكرنا مأساة الإمام عليّ والإمامين الحسن والحسين ونسلهما.. فالحكم بالصواب والخطأ ينصب على الماضي وليس على الحاضر أو المستقبل، ومحاكمة المخطئين والجرمين محاكمة تاريخية وليست محاكمة واقعية لأنهم لم يعودوا موجودين أو مؤثرين في حياتنا.. ونحن الآن أحرار نستطيع أن نحفظ بالحب بلا حدود لآل البيت، وندير حياتنا في نفس الوقت بما يتفق مع العصر ويحقق مصالحنا والرسول ﷺ وهو الذي قرر مبدأ «أنتم أدرى بشئون ديناكم» وفتح بذلك الباب أما المسلمين للتطور ومسايرة كل عصر بما يتفق مع طبيعته.

وباختصار: لا معنى لأن نجعل الماضي يحكم الحاضر ويتحكم في المستقبل، فإن الذين يثيرون الحروب بين المذاهب الإسلامية يضرون بالأمة والإسلام جميعاً.. فالمسلمون في حاجة إلى أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويكفي ما هم فيه من محن تشتد عليهم من أعدائهم، كلما تفرقوا..